

قيمة المرأة في الرؤية القرآنية



انطلق الاسلام في التعامل مع الإنسان كنوع، لذا تعامل مع هذا النوع على أساس إنسانيته، فخاطبه إنساناً يحمل الغريرة والعقل والشعور الوجداني والإحساس الأخلاقي.. تعامل معه كإنسان من غير أن يفرق بين الجنسين: الذكر والأُنثى في الانتماء إلى هذا النوع.. جاء هذا الأساس واضحًا في بيانه القرآني الكريم: (وَلَقَدْ كَرِمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيْرَاتِ وَفَهَنْلَذَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمْنَنْ خَلَقْنَاهُمْ تَفْضِيلًا) (الإسراء/70). (يَا أَيُّهُمَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهُمَا زَوْجَهُمَا وَبَثَثَ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسْأَءُ لِئُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) (النساء/1). (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَرْضِ أَجَانِي لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لِآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (الرُّوم/21). (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ) (البقرة / 228). (وَعَاهَشَرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ) (النساء/19). (وَوَصَّيْدَنَا إِلَيْسَانَ بِوَالِدِيهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلَتْهُ وَفَصَالَهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا) (الأحقاف/15). إن قراءة هذه النصوص النبوية، واستجلاء ما حوت من قيم إنسانية فريدة تكشف لنا عن قيمة المرأة وموقعها في الرؤية القرآنية للإنسان، ونجد في نصوص السنّة والسيرة النبوية المطهّرة، المعبدان بدورهما عن روح القرآن.. نجد ما يوسع دوائر الضوء والبيان حول هذه المفاهيم.

إن القرآن يؤسس مفاهيم ورؤى علمية وأخلاقية ثابتة في الحياة البشرية، توضّح إنسانية الإنسان وقيمتها في الجنسين الذكر والأُنثى. إن القرآن يقرر أن الناس - رجالاً ونساءً - خلقوا من نفس واحدة هي النفس الإنسانية الحاملة لكلّ خصائص النوع، وأنّ خالق الإنسانية قد كرم هذا النوع، وأبي أن يُهان إلا من أهان نفسه، فهو المسؤول عن المهانة تلك. ويقرر القرآن مبدأ نفسياً في العلاقة بين الزوجين، فيوضّح أنّها علاقة قائمة على المودة والرحمة والمعاشرة بالمعروف والإحسان. وتقرّر مبادئ القرآن، التكافؤ والمماثلة في حقّ المعاملة بالحسنى: (وَلَهُنَّ مِثْلُ

الْمَذْيَ عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ) (البقرة/ 228). وفي هذه النصوص، نجد حقَّ المرأة وكرامتها محفوظة موقِّرة، سواءً أكانت أمًا، أو زوجة، أو اخْتًا، أو ذات رحم.. وإذا كان هذا منهج القرآن في التعامل مع الزوجة، فإنَّه قرنَ احترام الأم وحبَّها والبرُّ بها، والإحسان إليها بطاعة الله، ونهى عن أن يُقال لها إِلا القول الكريم، وأن تُعامل إِلا بالمعروف والإحسان، ولا يصدر من الأبناء حتى كلمة الأُفُق. والمرأة في المجتمع كشقيقها الرجل في العلاقة والمسؤولية الاجتماعية والرابطة العقائدية. فهي العنصر المكافئ له في بناء الحياة وإصلاحها، جاء ذلك في قوله تعالى: (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلَيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ) (التوبه/ 71).

وفي دراستنا لحياة المرأة والأُسرة الأُسْرة والقدوة.. خديجة زوجة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، تتضح كلَّ تلك المعاني والقيم بشكل عملي مُجسَّد، فدراسة حياة خديجة والأُسرة النبوية الكريمة، هي دراسة تطبيقية للقيم والمبادئ الإسلامية التي دعا إليها القرآن الكريم، وبينها وطبقها الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في بناء الأُسرة والتعامل مع المرأة.

وكم عبدَ الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بقوله وفعله عن قيمة المرأة في حياة الرجل وفي حياة المجتمع، أمثال قوله: «النساءُ شرائقُ الرجال»، و«من أخلاق الأنبياء حبُّ النساء»، و«ألا خيركم، خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي».

وهكذا، تُعرَف قيمة المرأة في الإسلام، وموقعها في المجتمع، وحقَّها في بناء الحياة والمشاركة فيها.